فى اطلاق لفظ الاستغاثة ولكن ذلك لا يحتاج اليه لان معنى الاستغاثة والسؤال واحد سواء عبر عنه بهذا اللفظ أم بغيره والنزاع فى ذلك نزاع فى الضروريات وجوازه شرعا معلوم فتخصيص هذه اللفظة بالبحث مما لا وجه له وانكار السؤال بالنبى صلى الله عليه وسلم مخالف لما قدمناه من الاحاديث والآثار وما أشرنا اليه مما لم نذكره

﴿ الباب التاسع فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

قد تضمنت الاحاديث المتقدمة أن روح النبى صلى الله عليه وسلم ترد عليه وانه يسمع ويرد السلام فاحتجنا الى النظر فيما قد قيل فى ذلك بالنسبة الى الانبياء والشهداء وسائر الموتى وقد رتبنا الكلام فى هذا الباب على فصول *

﴿ الفصل الاول فيما ورد فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾ صنف الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله فى ذلك جزأ وروى فيه احاديث منها الانبياء صلوات الله عليهم أحياء فى قبورهم يصلون * ورواه ابن عدى فى الكامل أنبأنا غير واحد اذنا عن ابن المقير عن ابن الشهرزورى أنبأنا اسمعيل بن مسعدة أنبأنا حمزة بن يوسف أنبأنا أحمد بن عدى الحافظ قال حدثنا قسطنطين بن عبد الله الرومى مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين حدثنا الحسين بن عرفة حدثنى الحسن بن قتيبة المدائنى حدثنا المستلم بن سعيد الثقفى عن الحجاج الاسود عن ثابت البنانى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء صلوات الله عليهم أحياء فى قبورهم يصلون * قال ابن عدى وللحسن بن قتيبة هذا أحاديث غرائب حسان فأرجو أنه لا بأس به وذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وذكره الخطيب فى التاريخ وقال عن البرقانى عن الدارقطنى انه متروك الحديث وروى البيهقى هذا الحديث فى صدر الجزء الذى صنفه عن أبى سعيد أحمد بن محمد بن الخليل الصوفى عن ابن عدى بسنده

المذكور ثم قال البيهقي هذا حديث يعد في افراد الحسن بن قتيبة وقد روى عن يحيى بن أبي بكير عن المستلم بن سعيد وهو فيما أنبأنا الثقة من أهل العلم أنبأنا أبو عمرو بن حمدان أنبأنا أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو همام الازرق بن علي حدثنا يحيى ابن أبي بكير حدثنا المستلم بن سعيد عن الحجاج عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء أحياء في قبورهم يصلون قلت ويحيى بن أبي بكير ثقة والمستلم بن سعيد ثقة والحجاج (١) ان كان ابن أبي زناد فثقة وان كان غيره فلم أعرفه * قال البيهقي وروى كما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو حامد أحمد بن علي الحسنوي املاء حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس الحمصي بحمص حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا اسمعيل بن طلحة بن يزيد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور * قال البيهقي وهذا ان صح بهذا اللفظ فالمراد به والله أعلم لا يتركون لا يصلون الا هذا المقدار ثم يكونون مصلين فيما بين يدي الله تعالى قال البيهقي وحياة الانبياء بعد موتهم شواهد من الاحاديث الصحيحة ثم ذكر البيهقي بأسانيده حديث مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وحديث قد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي واذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل لي يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام

---

(١) قال في الفتح في باب واذكر في الكتاب مريم من أحاديث الانبياء أخرجه البزار لكن وقع عنده عن الحجاج الصواف وهو وهم والصواب حجاج الاسود لما وقع التصريح به في رواية البيهقي وصححه البيهقي

أخرجه مسلم * وفى حديث سعيد بن المسيب وغيره انه لقيهم فى بيت المقدس وفى حديث أبى ذر فى صفة المعراج أنه لقيهم فى السموات وكلموه وكلمهم وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه بعضا فقد رأى موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره ثم يسرى بموسى وغيره الى بيت المقدس كما اسرى بنبينا صلى الله عليه وسلم ثم يعرج بهم الى السموات كما عرج بنبينا عليه الصلاة والسلام فيراهم فيها كما أخبر وحالهم فى أوقات بمواضع مختلفات جائز فى العقل كما ورد به خبر الصادق وفى كل ذلك دلالة على حياتهم * ومما يدل على ذلك ما ساق اسناده الى أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل أيامكم يوم الجمعة وفيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد رمت * يقولون بليت * فقال إن الله تعالى حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء أخرجه أبو داود قال البيهقى وله شواهد * منها ما أنبأنا به أبو عبد الله أنبأنا ابن اسحاق الفقيه أنبأنا الابار حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا الوليد حدثنا أبو رافع عن سعيد المقبرى عن أبى مسعود الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أكثروا الصلاة على فى يوم الجمعة فانه ليس يصلى على أحد يوم الجمعة الا عرضت على صلاته * وأنبأنا على بن أحمد أنبأنا أحمد بن عبيد حدثنا الحسين بن سعيد حدثنا ابراهيم حدثنا حماد عن برد عن مكحول عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة * وأنبأنا الاسفرايينى حدثنى والدى أنبأنا اسامة بعمر حدثنا محمد بن اسمعيل الصائغ حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار عن مالك بن دينار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقربكم منى يوم القيامة فى كل موطن أكثركم على صلاة فى الدنيا فمن صلى على يوم الجمعة وليلة

الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبر عن صلى علي باسمه ونسبه الى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء * ثم ذكر البيهقي حديث فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم وحديث ما من أحد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد * قال البيهقي وانما أراد والله أعلم الا وقد رد الله علي روحي حتى ارد عليه * قلت وقد تقدم احتمال آخر ثم ذكر البيهقي حديث ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام وقول ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم صلى عليه صلاة الا وهي تبلغه يقول له الملك فلان يصلي عليك كذا وكذا صلاة وحديث من صلى علي عند قبري سمعته من طريق أبي عبد الرحمن وقال هو محمد بن مروان السدي فيما أرى وفيه نظر وقد مضى ما يؤكده * هذا قول البيهقي وذكر ما قدمناه عن سليمان بن سحيم ثم قال ومما يدل على حياتهم ما أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وساق اسناده وذكر حديث فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل رواه البخاري ومسلم * قال البيهقي وهذا انما يصح على أن الله عز وجل رد على الانبياء صلوات الله عليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعقوا فيمن صعق ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار فان كان موسى عليه السلام ممن استثنى الله بقوله الا من شاء الله فانه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة فيحاسبه بصعقة يوم الطور ويقال ان الشهداء من جملة من استثنى الله عز وجل بقوله تعالى الا من شاء الله وروينا في ذلك خبرا مرفوعا هذا جملة ما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب حياة الانبياء في قبورهم لم نحذف منه الا بعض الاسانيد أو بعض الزيادة في الاسماء وقد قدمنا في حديث من سنن ابن ماجه فيه فنبي الله حي يرزق * وقال البيهقي في

دلائل النبوة وفى الحديث الصحيح عن سليمان التيمى وثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة اسرى بى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلى فى قبره * وروينا فى الحديث الصحيح عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى * وذكر ابراهيم وعيسى ووصفهم ثم قال فحانت الصلاة فأممتهم وروينا فى حديث ابن المسيب أنه لقيهم فى بيت المقدس * وروينا فى حديث أنس أنه بعث له آدم فمن دونه من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وروينا فى الحديث الصحيح عن أنس عن مالك بن صعصعة وعن أنس عن أبى ذر رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى موسى بن عمران فى السماء السادسة * وليس بين هذه الاخبار منافاة فقد يراه فى مسيره قائما يصلى فى قبره ثم يسرى به الى بيت المقدس كما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فيه ثم يعرج به الى السماء السادسة كما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فى السماء وكذلك سائر من رآه من الانبياء فى الارض ثم فى السماء والانبياء صلوات الله عليهم أحياء عند ربهم كالشهداء فلا ينكر حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات كما ورد خبر الصادق به * هذا كلام البيهقى وقد ثبت فى الصحيح فى حديث الاسراء أنه صلى الله عليه وسلم وجد آدم فى السماء الدنيا وقال فيه فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ووجد ابراهيم فى السابعة مسندا ظهره الى البيت المعمور وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى على موسى بن عمران رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس (وقال) فى حديث آخر لقيت موسى فاذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ولقيت عيسى فاذا ربعة

أحمر كأنما خرج من ديماس (يعني حماما) ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به وفي حديث آخر أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا فقيل هذا المسيح بن مريم وفي حديث لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط قال فرفعه الله انظر اليه ما يسألوني عن شئ الا أنبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادي الازرق فقال كأني انظر الى موسى هابطا من الثنية وله جؤار الى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشى فقال كأني انظر الى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبي وفي حديث آخر كأني انظر الى موسى واضعا اصبعيه في أذنيه وهذه الاحاديث كلها في الصحيح وقد تقدم في موسى وعيسى وجميع الانبياء المذكورين شئ كثير من صفات الاجسام وكذلك صلاتهم قياما وامامة النبي صلى الله عليه وسلم بهم ولا يقال ان ذلك رؤيا منام وان قوله أراني فيه اشارة الى النوم لان الاسراء وما اتفق فيه كان يقظة على الصحيح الذي عليه جمهور السلف والخلف ولو قيل بانه نوم فرؤيا الانبياء حق وقوله أراني لا دلالة فيه على المنام بدليل قوله رأيتني في الحجر وكان ذلك في اليقظة كما يدل عليه بقية الكلام وقال تعالى فلا تكن في مرية من لقائه

وفى صحيح مسلم كان قتادة يفسرها أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قد لقى موسى وقد قيل فى قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم ليلة الاسراء قال القاضى عياض رحمه الله فان قيل يحجون ويلبون وهم أموات وهم فى الدار الآخرة وليست دار عمل فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة (أحدها) أنهم كالشهداء بل أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما ورد فى الحديث الآخر وان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا والا نهم وان كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل (والوجه الثانى) ان عمل الآخرة ذكر ودعاء قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم (الثالث) أن تكون رؤيا منام فهم فى غير ليلة الاسراء (الرابع) أنه صلى الله عليه وسلم أرى حالهم التى كانت فى حياتهم ومثلوا له فى حال حياتهم كيف كانوا وكيف كان حجهم وتلبيتهم (الخامس) أن يكون أخبر بما أوحى اليه صلى الله عليه وسلم من أمرهم وما كان منهم وان لم يرهم رؤية عين هذا كلام القاضى والوجه الاول والثانى يلزم منهما الحياة والثالث لا يأتى فى ليلة الاسراء والرابع والخامس انما يأتيان فى الحج والتلبية ونحوهما واما فيما حصل ليلة الاسراء فلا * والجواب الصحيح فى الصلاة ونحوها أحد جوابين اما أن يقول البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وهو الجواب الاول الذى ذكره القاضى واما أن يقول ان المنقطع فى الآخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى ولهذا أنهم يسبحون ويدعون ويقرؤن القرآن وانتظر الى سجود النبى صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة أليس ذلك عبادة وعملا وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الاعمال فى مدة البرزخ

وقد صح عن ثابت البنانى التابعى أنه قال اللهم ان كنت أعطيت أحدا أن يصلى فى قبره فأعطنى ذلك فرؤى بعد موته يصلى فى قبره وتكفى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لموسى قائما يصلى فى قبره ولان النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء لم يقبضوا حتى خيروا بين البقاء فى الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة ولا شك انهم لو بقوا فى الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الى الجنة فلو لم يعلموا ان انتقالهم الى الله أكمل ما اختاروا ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله لما اختاروه فهذه نبذة من الاحاديث الصحيحة الدالة على حياة الانبياء والكتاب العزيز يدل على ذلك أيضا قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * واذا ثبت ذلك فى الشهيد ثبت فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بوجوه (أحدها) ان هذه رتبة شريفة أعطيت للشهيد كرامة له ولا رتبة أعلى من رتبة الانبياء ولا شك أن حال الانبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء ولا يحصل للانبياء لا سيما هذا الكمال الذى يوجب زيادة القرب والزلفى والنعيم والانس بالعلى الأعلى (الثانى) أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجراء على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم هو الذى سن لنا ذلك ودعانا اليه وهدانا اليه باذن الله تعالى وتوفيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة * وقال صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ * والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مشهورة فكل أجر حصل للشهيد حصل للنبى صلى الله عليه وسلم لسعيه مثله والحياة أجر فيحصل

للنبي صلى الله عليه وسلم مثلها زيادة على ماله صلى الله عليه وسلم من الاجر الخاص من نفسه على هدايته للمهتدي وعلى ماله من الاجور على حسناته الخاصة من الاعمال والمعارف والاحوال التي لا تصل لجميع الامة الى عرف نشرها ولا يبلغون معشار عشرها وهكذا نقول ان جميع حسناتنا وأعمالنا الصالحة وعبادات كل مسلم مسطر في صحائف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم زيادة على ماله من الاجر ويحصل له صلى الله عليه وسلم من الاجور بعدد امته أضعافا لا يحصرها الا الله تعالى ويقصر العقل عن ادراكها فان كل مهتد وعامل الى يوم القيامة يحصل له أجر ويتجدد لشيخه في الهداية مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث أربعة وللرابع ثمانية وهكذا يضعف في كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى أن تنتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر ألف وأربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار أجر النبي صلى الله عليه وسلم ألفين وثمانية وأربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما كان قبله أبدا الى يوم القيامة وهذا أمر لا يحصره الا الله تعالى ويقصر العقل عن كنه حقيقته فكيف اذا أخذ مع كثرة الصحابة وكثرة التابعين وكثرة المسلمين في كل عصر فكل واحد من الصحابة يحصل له بعدد الاجور التي تترتب على فعله الى يوم القيامة وكل ما يحصل لجميع الصحابة حاصل بجملته النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يظهر رجحان السلف على الخلف فانه كلما ازداد الخلف ازداد أجر السلف وتضاعف بالطريق الذي نبهنا عليه ومن تأمل هذا المعنى ورزق التوفيق انبعثت همته الى التعليم ورغب في نشره ليتضاعف أجره في حياته وبعد موته على الدوام ويكف عن احداث البدع والمظالم من المكوس وغيرها فانها تتضاعف عليه بالطريق التي ذكرناها مادام يعمل بها فليتأمل المسلم هذا المعنى وسعادة الهادي

الى الخير وشقاوة الداعى الى الشر (الثالث) أن النبى صلى الله عليه وسلم شهيد فانه صلى الله عليه وسلم لما سم بخيبر وأكل من الشاة المسمومة وكان ذلك سما قاتلا من ساعته مات منه بشر بن البراء رضى الله عنه وبقى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك معجزة فى حقه صار ألم السم يتعاهده الى أن مات به صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه مازالت أكلة خيبر تعادنى حتى كان الآن أوان قطعت أبهرى * قال العلماء فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة وتكون الحياة الثابتة للشهداء لا تختص بمن قتل فى المعركة فانا انما اشترطنا ذلك فى الاحكام الدنيوية كالغسل والصلاة أما الآخرة فلا وهذا لاشك فيه بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما غيره وغير شهداء المعركة ممن شهد له الشرع بالشهادة كالمطعون والمبطون والغريق ونحوهم فهل نقول ان الحياة الثابتة للمقتولين فى سبيل الله تثبت لهم هذا يحتاج الى توقيف والشهيد فعيل اما بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول وقد اختلف فى سبب هذه التسمية فنقل عن النضر ابن شميل ان الشهيد هو الحى لان كل من كان حيا كان شاهدا أو مشاهدا للاحوال والشهيد حى بعد أن صار مقتولا واستدل بالآية فعلى مقتضى هذا القول كل من ورد الشرع بانه شهيد ثبت له هذا الوصف وهو كونه حيا وقيل على كونه فاعلا انه شهيد على الامم الخالية يوم القيامة وانه شاهد لطف الله ورحمته وقيل على كونه بمعنى مفعول ان ملائكة الرحمة يحضرونه ويرفعون روحه الى منازل القدس وكل هذه المعانى موجودة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى سبب التسمية غير ما ذكرنا * واعلم أنه لابد من تفسير الحياة التى نثبتها للنبى صلى الله عليه وسلم والحياة التى نثبتها للشهيد وحياة سائر الموتى أيضا فأما النبى صلى الله عليه وسلم فعد صاحب التلخيص من الشافعية فى خصائصه ان ماله بعد موته قائم على نفقته وملكه وقال امام الحرمين رحمه الله ان ما خلفه بقى على

ما كان في حياته فكان ينفق أبو بكر رضي الله عنه منه على أهله وخدمه وكان يرى أنه باق على ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانبياء أحياء واعلم أن هذا القول يقتضي اثبات الحياة في أحكام الدنيا وذلك زائد على حياة الشهيد والقرآن العزيز ناطق بموته صلى الله عليه وسلم قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال صلى الله عليه وسلم اني مقبوض وقال الصديق رضي الله عنه فان محمدا قد مات وأجمع المسلمون على اطلاق ذلك فالوجه اذا ثبت القول المذكور أن يقال ان ذلك موت غير مستمر وأنه أحيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر والا فالحياة الثابتة حياة أخروية ولاشك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهيد وهي ثابتة للروح بلا اشكال والجسد قد ثبت أن أجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى البدن سنذكره في سائر الموتى فضلا عن الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا أو حيا بدونها وهي حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكرناه عن جماعة من العلماء وشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب والامتناع عن النفوذ في الحجاب الكثيف وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهدها بل قد يكون لها حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم وأما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت وسنذكر ثبوته لسائر الموتى فكيف بالانبياء

﴿ الفصل الثاني في الشهداء ﴾

أجمع العلماء على اطلاق لفظ الحياة على الشهيد كما نطق به القرآن ولكن اختلفوا

هل هي حياة حقيقية أو مجازية وعلى تقدير كونها حقيقية هل هي الآن أو يوم القيامة وعلى تقدير كونها الآن هل هي للروح أو للجسد فهذه أربعة أقوال لا خامس لها أضعفها قول من قال ان المراد أنهم يصيرون أحياء يوم القيامة وليس المراد أنهم أحياء الآن وهذا قول باطل بوجوه منها قوله تعالى ولكن لا تشعرون فهذا خطاب للمؤمنين بأنهم لا يشعرون بحياة من قتل في سبيل الله وكل المؤمنين يشعرون ويعلمون بحياتهم يوم القيامة وانما الغريب الذي لا يشعر بحياتهم الآن * ومنها قوله تعالى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم والمراد اخوانهم الذين في الدنيا لم يموتوا بعد ومنها الاحاديث الصحيحة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية رواه أبو داود وأخرجه الحاكم في صحيحه وفي صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما انا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيأ قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء ففعل ذلك لهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليست لهم حاجة تركوا وهذان الحديثان صريحان في ان ذلك حصل فيما مضى وعن جابر

ابن عبد الله رضى الله عنهما قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر مالى أرانك منكسا قلت يارسول الله استشهد أبى قتل يوم أحد وترك عيالا وعليه دين قال أفلا أبشرك بما لقى الله عز وجل به أباك قلت بلى يارسول الله قال ان الله ما كلم أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا أباك وكلمه كفاحا فقال له ياعبدى تمن على أعطك قال يارب تحيينى فأقتل فيك مرة ثانية قال الرب عز وجل قد سبق منى أنهم لا يرجعون قال وأنزلت هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا رواه الترمذى وقال حسن غريب من هذا الوجه وقوله أحيا أباك يقتضى تجدد حياة والروح باقية لم تمت فاما أن يحمل على الجسد وإما على ان مفارقتها الجسد حياة لها ومنها ما سنذكره فى سائر الموتى وانهم منقسمون فى القبور الى منعم ومعذب فثبت بهذه الوجوه أن الحياة حاصلة للشهيد الآن ولكن من الناس من قال إنها حياة مجازية ثم سلكوا فى وجه المجاز وجوها اما لانهم فى حكم الله مستحقون للنعيم فى الجنة أولان ثناءهم باق أو غير ذلك من وجوه المجازات وكلها ضعيفة لانها عدول عن الحقيقة الى المجاز بغير دليل فلم يبق الا أنها حياة حقيقية الآن وان الشهداء أحياء حقيقة وهو قول جمهور العلماء لكن هل ذلك للروح فقط أو للجسد معها فيه قولان (أحدهما) للروح فقط لما ذكرناه من حديث ابن عباس وابن مسعود رضى عنهم وأن الروح فى أجواف طير خضر وحياة الجسد انما تكون بعود الروح اليه (والثانى) للجسد معها وسنذكر مثل ذلك فى سائر الموتى واثبات حياتهم فى قبورهم وان عذاب القبر ونعيمه للجسد والروح جميعا واذا كان نعيم غير الشهيد كذلك فنعيم الشهيد أتم وأولى وأكمل وذكر القرطبى أن اجساد الشهداء لا تبلى وقد صح عن جابر أن أبا وعمرو بن الجموح رضى الله عنهم وهما ممن استشهد بأحد دفنا فى قبر واحد حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا

وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة ولما أجرى معاوية رضى الله عنه العين التى استنبطها بالمدينة وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فسال منه الدم ووجد عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس وروى كافة أهل المدينة ان جدار قبر النبى صلى الله عليه وسلم لما انهدم ايام الوليد بدت لهم قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قتل شهيدا ولا حاجة الى الاكثار من ذلك فقد صح أن الانبياء لا تأكل الارض أجسادهم وورد مثله فى الشهداء ويعنى بالشهيد من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فلا يرد علينا أنا قد نرى من يقاتل وتأكله الارض لكن بقاء الجسد لا يدل على حياته والكلام هنا انما هو فى الحياة وقد صح فى الشهداء أنهم يقولون نريد أن ترد أرواحنا الى أجسادنا وهذا يرد قول من يقول إن جسد الشهيد حى بروحه كما كان فى الدنيا (اللهم) الا أن يقال إنه حى بغير تلك الروح نوعا من الحياة مخالفا للحياة الدنيوية وقد جاء فى أرواح الشهداء أنها فى أجواف طير تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل من تحت العرش * فمن العلماء من قال أرواح الشهداء فى أجواف طير فى الجنة وأرواح غيرهم من المؤمنين فى قبورهم وممن ذكر ذلك القرطبى فى التذكرة ومنهم من طعن فى الحديث وقال انه لم يصح كونها فى حواصل طير وزعم أنها بذلك تكون محبوسة نقل ذلك عن أبى الحسن الغسالى وغيره من المالكية وهو مردود لأن الحديث صحيح * ومنهم من أوّل فى بمعنى على * ومنهم من قال انها ليست فى طير ولكنها نفس الطير لقوله صلى الله عليه وسلم انما نسمة المؤمن طائر تعلق * ومنهم من يقول أرواح الشهداء مختلفة منها ما هو طائر تعلق من شجر الجنة ومنها ما هو فى حواصل طير خضر ومنها ما تأوى الى قناديل تحت العرش ومنها ما هو

فى حواصل طير بيض ومنها ماهو فى حواصل طير كالزرازير ومنها ماهو فى أشخاص وصور من صور الجنة ومنها ماهو فى صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ومنها ما يسرح ويتردد الى جنتها يزورها ومنها ما يتلقى أرواح الموتى ومن سوى ذلك ماهو فى كفالة ميكائيل عليه السلام ومنها ماهو فى كفالة آدم عليه السلام ومنها ماهو فى كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال القرطبى رحمه الله تعالى وهذا قول حسن فانه يجمع الاخبار حتى لا تدافع والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الثالث فى سائر الموتى فى السماع والكلام والادراك والحياة وعود الروح الى الجسد ﴾

﴿ أما السماع والكلام ﴾ فرواهما البخارى رحمه الله أنبأنا بجميع صحيح البخارى أبو الحسن على بن محمد بن هرون بقراءتى عليه غير مرة بالقاهرة وفاطمة بنت البطائحى بقراءتى عليها بسفح قاسيون ظاهر دمشق وأبو العباس أحمد بن أبى طالب وزيرة بنت عمر بن أسعد بريحا قراءة عليهما وأنا أسمع وآخرون قال الاربعة المذكورون أنبأنا الحسين بن المبارك بن يحيى بن الزبيدى قال الاول وأنا حاضر وقال الثلاثة ونحن نسمع قال أنبأنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودى أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى حدثنا الامام أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد وبه قال وقال لى خليفة حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب عنه أصحابه حتى انه يسمع قرع نعالهم أتاه

ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين وروى مسلم رحمه الله من حديث أسماء قريبا منه وفيه وأما المنافق أو المرتاب قال الراوى لا أدرى أى ذلك قالت أسماء وفى الترمذى ان الملكين يقولان للمؤمن نم كنومة العروس لا يوقظه الا أحب أهله اليه * وبالاسناد الى البخارى قال حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدمونى وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولو سمعه صعق * وبالاسناد الى البخارى قال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث بن سعد فذكر مثله وقال قالت لأهلها يا ويلها وقال ولو سمع الانسان لصعق فانظر هذه الأحاديث الصحيحة التى لا عربة فيها وتأكيد الكلام بما لا يحتمل المجاز وهو قول يسمع صوتها كل شئ الا الانسان ولولا هذا لأمكن أن يحمل على القول بلسان الحال لكن بعد هذا لا يسوغ هذا الحمل وأيضا فان لسان الحال معلوم عند الانسان فلا شك فى حصول كلام حقيقى هذا ونحن نشاهده على أعناق الرجال ميتا ومن الاحاديث الصحيحة المتفق عليها انداؤه صلى الله عليه وسلم أهل القليب وقوله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم

﴿ وأما الادراك ﴾

فيدل له مع ذلك الاحاديث الواردة فى عذاب القبر وهى أحاديث صحيحة متفق

عليها رواها البخاري ومسلم وغيرهما وأجمع عليها وعلى مدلولها أهل السنة والاحاديث في ذلك متواترة ومن أحسنها ما رواه أبو داود الطيالسي أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الدشتي بقراءتي عليه بالشام في سنة سبع وسبعمائة قال أنبأنا الحافظ ابن خليل أنبأنا اللبان أنبأنا الحداد أنبأنا أبو نعيم أنبأنا ابن فارس حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا الاسود بن شيبان عن بحر بن مرار عن أبي بكرة قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بيننا اذ أتى على قبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأيكما يأتيني من هذا النخل بعسيب فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيبا فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فشقه نصفين من أعلاه فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال انه يهون عليهما ما داما فيهما من بلولتهما شيء انهما يعذبان في الغيبة والبول قال الطيالسي وروى هذا الحديث مسلم بن ابراهيم عن الاسود عن هجرأة عن عبد الرحمن بن أبي بكرة هكذا نقلته من مسند أبي داود الطيالسي التي هي أصل سماعي وهي بخط ابن خليل وأصل الحديث ثابت في الصحيحين وفي هذه الرواية النص على أن العذاب الآن وأنه في القبور وخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد ورد عن البراء بن عازب حديث طويل جامع لاحكام الموتى وفيه التصريح بعود الروح الى الجسد أنبأنا به الدشتي أنبأنا ابن خليل أنبأنا اللبان أنبأنا الحداد أنبأنا أبو نعيم أنبأنا ابن فارس حدثنا يونس حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا أبو عوانة عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أبو داود وحدثناه عمرو بن ثابت سمعه

من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب وحديث أبي عوانة أتم قال البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير قال عمرو بن ثابت وقع ولم يقله أبو عوانة * فجعل يرفع بصره وينظر الى السماء ويخفض بصره وينظر الى الارض ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال إن العبد المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول اخرجي أيتها النفس المطمئنة الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه وتسيل كما يسيل قطر السقاء * قال عمرو في حديثه ولم يقله أبو عوانة وان كنتم ترون غير ذلك وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من اكفان الجنة وحنوط من حنوطها فيجلسون منه مد البصر فاذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين فذلك قوله عز وجل توفته رسلنا وهم لا يفرطون * قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح فيقال فلان بأحسن اسمائه حتى ينتهوا به الى باب سماء الدنيا فتفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فيقول اكتبوا كتابه في عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فيكتب كتابه في عليين ثم يقال ردوه الى الارض فاني وعدتهم أني منها خلقناهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى فترد الى الارض وتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني الاسلام فيقولان فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولون وما يدريك فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * قال وينادي مناد

من السماء قد صدق عبدي فألبسوه من الجنة وأفرشوه منها وأروه منزله منها فيلبس من الجنة ويفرش منها ويرى منزله منها ويفسح له مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر بما أعد الله عز وجل لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير من أنت فوجهك الوجه الذي جاءنا بخير فيقول هذا يومك الذي كنت توعد والامر الذي كنت توعد وأنا عملك الصالح فوالله ما علمتك الا كنت سريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا فيقول يارب أقم الساعة كي أرجع الى أهلي ومالي قال وان كان فاجرا فكان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال اخرجي أيتها النفس الخبيثة أبشري بسخط الله وغضبه فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح فاذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين قال فتفرق في جسده فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب كالسفود الكبير الشعب في الصوف المبلول فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن ريح وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والارض الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون هذا فلان باسوأ أسمائه حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فلا يفتح له فيقول ردوه الى الارض اني وعدتهم أني منها خلقناهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فيرمى به من السماء قال فتلا هذه الآية ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء الآية قال ويعاد الى الارض وتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيقولان فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فلا يهتدي لاسمه فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك قال فيقال لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بعذاب من الله وسخطه فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي جاء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث والله ما علمتك الا كنت بطيئا

عن طاعة الله سريعا الى معصية الله قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيقيض له ملك أصم أبكم معه مرزبة لو ضرب بها جبل صار ترابا (أو قال رميما) فيضربه بها ضربة يسمعها الخلائق الا الثقلين ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى وهذا الحديث أخرجه جماعة من الائمة فى مسانيدهم منهم الامام أحمد وعبد بن حميد وعلى بن معبد فى الطاعة والمعصية وغيرهم ورجال اسناده كلهم ثقات وتكلم فيه ابن حزم من جهة المنهال بن عمرو وهذا الكلام ليس بشئ لان المنهال بن عمرو روى له البخارى ووثقه غير واحد منهم يحيى بن معين والكلام الذى فيه من جهة أن شعبة تركه وقد قال عبد الرحمن ابن مهدى ان سبب ترك شعبة له أنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب واذا عرف هذا السبب لم يضر ترك شعبة اياه لان جماعة من العلماء قالوا باباحة ذلك وما كان مختلفا فيه من هذا الجنس فلا ترد الرواية به ولا الشهادة لاسيما ولم يعلم أن ذلك الصوت منه فقد يكون فى داره من غيره ولا علم له به وبالجملة فهذا كلام لا وجه له ولا شك فى ثقة المنهال بن عمرو وأنه ممن يحتج بحديثه ولا معنى لانكار عود الروح وتضعيفه بالمنهال بن عمرو مع دلالة بقية الاحاديث المتفق عليها على السماع والكلام والقعود وغيرها مما يستلزم الحياة وعود الروح وقد روى البغوى فى شرح السنة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يسمع حس النعال اذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفنه فى عنقه ثم يسئل وقد أجمع أهل السنة على اثبات الحياة فى القبور قال امام الحرمين فى الشامل اتفق سلف الامة على اثبات عذاب القبر واحياء الموتى فى قبورهم ورد الارواح فى أجسادهم وقال الفقيه أبو بكر بن العربى فى الامد الاقصى فى تفسير أسماء الله الحسنى ان احياء المكلفين فى القبر وسؤالهم جميعا لا خلاف فيه بين أهل السنة وقال سيف الدين الآمدى فى كتاب ابكار الافكار اتفق سلف الامة قبل ظهور المخالف

وأكثرهم بعد ظهوره على اثبات احياء الموتى فى قبورهم ومساءلة الملكين لهم واثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين وقوله تعالى وأحييتنا اثنتين أى حياة المساءلة فى القبر وحياة الحشر لانهما حياتان عرفوا الله بهما والحياة الاولى فى الدنيا لم يعرفوا الله بها وقال القرطبى ان الايمان به مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة ولم يفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ذلك وكذلك التابعون بعدهم وذهب بعض المعتزلة الى موافقة أهل السنة على ذلك وذهب صالح قبة والصالحى وابن جرير الى أن الثواب والعقاب ينال الميت من غير حياة وهذا مكابرة للعقول وذهبت طائفة الى أن الميت يألم كما يألم السكران فاذا حشر وجد ذلك الالم كما يجد السكران الالم اذا عاد العقل اليه وهذا المذهب تخليط لا حاصل له وذهب ضرار بن عمر وبشر المريسى ويحيى بن كامل وغيرهم من المعتزلة الى أن من مات فهو ميت فى قبره الى يوم البعث ومنهم من اعترف بعذاب القبر وأنه يكون بين النفختين وكلا الامرين مخالف لما تظافرت به الاحاديث وطعن بعض الملحدة بأنا نرى المصلوب لا يظهر عليه شئ من ذلك ومن افترسه السبع وتفرقت أجزاؤه كيف يتأتى ذلك فيه وللأئمة رضى الله عنهم طرق فى الاجوبة عن ذلك منها أنه لا يبعد أن تكون المساءلة على أجزاء مخصوصة من الجسد كاجزاء القلب ونحوها فيرد الله الروح اليها ويسائلها ومنها أنه لا يبعد أن يرد الروح الى المصلوب من حيث لا نشعر ونحن نحسبه ميتا كما نحسب صاحب السكتة ميتا وأما من تفرقت اجزاؤه فيرد الله الروح الى كل جزء ويسائله الملكان ومنها أن الذين فى القبور يجلسون ويسئلون والذين بقوا على وجه الارض من الموتى يحجب الله المكلفين عما يجرى عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية النبيين لهم صلوات الله عليهم ومما تعلقوا به قوله تعالى انك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور وانكار عائشة رضى الله عنها سماع أهل القليب

فأما قوله تعالى انك لا تسمع الموتى فنحن نقول به وانما نقول يسمعون اذا ردت اليهم أرواحهم وأما قوله وما أنت بمسمع من في القبور فمعناه اذا كانوا موتى وأما عائشة رضي الله عنها فقد اعترفت بالعلم وقالت انما قال انهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق واذا جاز العلم جاز السماع لانهما جميعا مشروطان بالحياة على الجملة فهذه الامور ممكنة في قدرة الله تعالى وقد وردت بها الاخبار الصحيحة فيجب التصديق بها ويقطع بأن الحياة تعود الى الميت وأما أنه هل يموت بعد ذلك موتة ثانية لم يرد في الاحاديث تصريح بذلك لكن في كلام بعضهم ما يقتضيه وحمل عليه قوله تعالى ربنا أمتنا اثنتين على اختلاف المفسرين فيها والقائلون بعذاب القبر يقولون باستمراره وهكذا تقتضي الاحاديث الصحيحة كما تقدم هذا مقعدك حتى يبعثك الله وقوله تعالى يعرضون عليها غدوا وعشيا * وقد صح في مسلم عن زيد بن ثابت قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال ومن يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل أنا فقال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا في الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع وهذا يدل على استمرار عذاب القبر وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوتا من قبر فقال وادفن في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر وأما قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فهو يشعر بالحياة لان الرقاد للحي وقد قيل في تفسيره أقوال منها أن العذاب يرفع عن أهل القبور بين النفختين نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة النشر فلا يعذب في هذه الاوقات الا من قتل نبيا أو قتله نبي أو قتل في معترك نبي ومنها أن العذاب ليس بدائم بل بكرة وعشيا ويفتر فيما بين ذلك فتقوم الساعة في ارتفاع النهار فيصادف قيامها وقت الفترة وقد تلخص من هذا أن

الروح تعاد الى الجسد ويحيا وقت المساءلة وأنه ينعم أو يعذب من ذلك الوقت
الى يوم البعث اما منقطعا أو مستمرا على ما سبق وهل ذلك من بعد وقت المساءلة
الى البعث للروح فقط أوله مع الجسم يلتفت على أن الجسم هل يفنى أو يتفرق
وكلا الامرين جائز عقلا وفى الواقع منه قولان للمتكلمين ولم يرد فى الشرع ما يمكن
التمسك به فى ذلك الا قوله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب ففيه
يركب الجسم أو بعضه باقيا فلا امتناع من قيام الحياة به وحيث يعدم بالكلية
يتعين القول بالروح فقط على أنها أيضا قد تعدم عند فناء العالم ليكون المعاد
واردا عليها وعلى الجسم معا * وقد جاءت أحاديث تدل على أن بعض الموتى يقيهم الله
تعالى فتنة القبر منهم الشهيد ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وآخرون وردت
بهم أحاديث وهؤلاء ان خصوا من المساءلة فالنعيم والحياة شاملان لهم وقد عرف
بهذا أن حياة جميع الموتى بأرواحهم وأجسامهم فى قبورهم لا شك فيها واستمرار
العذاب أو النعيم بعد المساءلة لا شك فيه أيضا لما سبق وكون ذلك فيما بعد وقت
المساءلة للروح فقط أو لها مع الجسم مما يتوقف على السمع وقد ذكر
سعيد بن السكن فى سننه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الميت
اذا وضع فى قبره انه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مؤمنا كانت
الصلاة عند رأسه وذكر حديثا طويلا الى أن قال فيفسح له فى قبره سبعون
ذراعا وينور له فيه ويعاد الجسد مما بدئ منه وتجعل النسمة فى النسم الطيبة فهو
يطير ويعلق فى شجر الجنة وفى المستدرك على الصحيحين للحاكم فى فضائل عائشة
رضى الله عنها قالت كنت أدخل البيت الذى دفن فيه معهما عمر والله ما دخلت
الا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر * قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه *

﴿الفصل الرابع﴾

قد عرفت مقالات الناس في سائر الموتى وفي الشهداء وعرفت أن القول فيهم بعود الروح الى الجسد وبقائها فيه الى يوم القيامة بعيد مخالف للحديث الصحيح أنها ترجع الى جسده يوم القيامة وعرفت أن النعيم حاصل لأرواح السعداء من الشهداء وغيرهم والعذاب حاصل للأشقياء فلم لك تقول ما الفرق حينئذ بين الشهداء وغيرهم والجواب عن هذا من وجهين * أحدهما أن اثبات الحياة للشهداء لا ينفي ثبوتها عن غيره فالآيتان الكريمتان الواردتان في قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم « ليس فيهما نفي هذا الحكم عن غيرهم بل الرد على من يعتقد أنهم ليسوا كذلك ونص عليهم لان الواقعة كانت فيهم * الثاني أن أنواع الحياة متفاوتة حياة الأشقياء معذبين اعاذنا الله تعالى منها وحياة بعض المؤمنين من المنعمين وحياة الشهداء أكمل وأعلى فهذا النوع من الحياة والرزق لا يحصل لمن ليس في رتبتهم وأما حياة الانبياء فأعلى وأكمل وأتم من الجميع لانها للروح والجسد على الدوام على ما كان في الدنيا على ما تقدم عن جماعة من العلماء ولو لم يثبت ذلك فلا شك في كمال حياتهم أيضا أكبر من الشهداء وغيرهم أما بالنسبة الى الروح فلكمال اتصالها ونعيمها وشهودها للحضرة الالهية وهي مع ذلك مقبلة على هذا العالم ومتصرفة فيه وأما بالنسبة الى الجسد فلما ثبت فيه من الحديث وبالجملة كل أحد يعامل بعد موته كما كان يعامل في حياته ولهذا يجب الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته كما كان في حياته وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروى عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطنبة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا

وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك هكذا رواه الحسيني في أخبار المدينة وهذا مما يدل على انهم كانوا يرون أنه حي وعن عروة قال وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب فقال له عمر بن الخطاب قبحك الله لقد آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ومن نظر سير السلف الصالحين والصحابة والتابعين علم أنهم كانوا في غاية الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته كما كانوا في حياته وكانوا مع قبره الشريف كذلك وكيف لا وقد روى عن كعب الاحبار قال ما من فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين ألفا من الملائكة فلو لم يكن في الحضور عند القبر الا الدعاء بحضرة هؤلاء الملائكة فكيف وفيه حضرة سيد الخلق أجمعين ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يغضون أصواتهم في مسجده صلى الله عليه وسلم تعظيما له ففي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو جمعنا الاحاديث الصحيحة التي فيها ما كانت الصحابة عليه من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم آثاره وأدبهم معه لجاءت مجلدات بل الملائكة أيضا كانوا يسلكون كمال الأدب معه كما روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب عن ابن بريدة قال وردنا المدينة فأتينا عبد الله ابن عمر فقال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل جيد الثياب طيب الريح حسن الوجه فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك فقال يا رسول الله أدنو منك قال ادنه فدنا دنوة فقلنا ما رأينا كاليوم قط رجلا أحسن ثوبا ولا أطيب ريحا ولا أحسن وجها ولا أشد توقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله

أدنو منك قال نعم فدنا دنوة فقلنا مثل مقالتنا ثم قال له الثالثة أدنو منك يا رسول الله قال نعم وذكر حديث جبرائيل وسؤاله عن الاسلام فانظر تعظيم جبرائيل وأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ملك الموت وغير ذلك من الأحاديث التي لا تحصر والكتاب العزيز واجماع المسلمين ولا شك ان من قال لا يزار ولا يسافر لزيارته أولا يستغاث به بعيد من الادب معه نسأل الله تعالى العافية وقد روى القاضي اسمعيل في أحكام القرآن عن محمد بن عبيد حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن رجلا قال لو قبض النبي صلى الله عليه وسلم لتزوجت فلانة فأنزل الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال معمر وبلغني أنه طلحة (١) قال لو قبض النبي صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فانظر محافظة القرآن العزيز على حفظه وصونه عما يؤذيه في حياته وبعد مماته وهذا معلوم من الدين بالضرورة واشعار الآية الكريمة بأن نكاحهن بعد الموت يؤذيه فيقتضي أنه يتأذى بعد الموت فينبغي للمحترز على دينه أن يسلك كمال الأدب ويتحفظ غاية التحفظ لئلا يزل وهو لا يشعر فيما يؤذيه فيخسر الدنيا والآخرة نسأل الله تعالى أن يعصمنا في ديننا ويسترنا فيما بقي من أعمارنا ويجعل ما نقوله حجة لنا لا علينا ونورا يسعى بين أيدينا وأن يحشرنا

---

(١) قال الحافظ جلال الدين السيوطي في فتاواه طلحة هذا ليس هو المشهور أحد العشرة بل هو رجل شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه فان طلحة المشهور الذي هو أحد العشرة طلحة بن عبيد الله ابن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي وطلحة صاحب القصة طلحة بن عبيد الله بن شافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي * قال أبو موسى في الذيل عن ابن شاهين في ترجمته هو الذي نزل فيه وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية * وذلك انه قال لئن مات رسول الله لأتزوجن عائشة وقال ان جماعة من المفسرين غلطوا وظنوا أنه طلحة أحد العشرة انتهى من الاصل

في زمرة هذا النبي صلى الله عليه وسلم وتحت لوائه ويوردنا حوضه ويرزقنا شفاعته ورضاه عنا ويجعلنا من المتبعين لسنته السالكين بهديه بمنه وكرمه آمين

﴿الفصل الخامس﴾

كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع ونحوه من الأعراض بعد الموت فانه قد يقال ان هذه الأعراض مشروطة بالحياة فكيف تحصل بعد الموت وهذا خيال ضعيف لانا لا ندعي أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع وانما ندعي أن السماع بعد الموت حاصل لحي وهو اما الروح وحدها حالة كون الجسد ميتا أو متصلة بالبدن حالة عود الحياة اليه والانسان فيه أمران (١) جسد ونفس فالجسد اذا مات ولم تعد اليه الحياة لا نقول بقيام شيء من الاعراض المشروطة بالحياة به وان عادت الحياة اليه صح اتصافه بالسماع وغيره من الأعراض والنفس باقية بعد موت البدن عالمة باتفاق المسلمين حتى ان عائشة رضي الله تعالى عنها لما أنكرت سماع أهل القليب وافقت على العلم وقالت انما قال انهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق بل غير المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ممن يقول ببقاء النفوس يقولون بالعلم بعد الموت ولم يخالف في بقاء النفوس الا من لا يعتد به وليس مرادنا أنها واجبة البقاء كما قال به بعض أهل الزيغ والالحاد ولا أنها تبقى دائما وان كانت ممكنة فانه قد يفنيها الله تعالى عند فناء العالم ثم يعيدها وانما المراد أنها تبقى بعد موت البدن ثم بعد ذلك ان فنيت أعيدت مع البدن يوم القيامة وان لم تفن أعيد البدن ورجعت ومادامت باقية تدرك المعقولات بلا اشكال وأما ادراكها للمحسوسات كالسمع

(١) قوله فيه أمران قال السبكي للسيد الصفوي هنا تحقيق في مسئلة المعاد فليراجع وعبارته الانسان هو مجموع الجسد والروح وما فيه من المعاني فان الجسد الفارغ من الروح والمعاني يسمى شبحا وجثة لا انسانا وكذا الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذا المعاني المحققة لا تسمى على الانفراد انسانا لا عرفا ولا عقلا اه من الاصول المنقول عنها

وغيره فى حال تعلقها بالبدن اختلف المتكلمون هل هى المدركة فقط والحواس بمنزلة الطاقات أو الحواس تدرك ثم تنقل اليها كالحجاب يسمعون ثم ينقلون الى الملك وعلى كل من القولين هى مدركة للمسموع ولم يقم دليل على أن اتصالها بالبدن شرط فى هذا الادراك بل الظاهر أنه ليس بشرط كما انه ليس بشرط فى العلم بالمعقولات ونحن يكفينا بيان امكان ذلك عقلا فاذا ورد به سمع اتبع ولسنا فى مقام اثباته بمجرد العقل بل فى مقام عدم استحالته وأنه ليس الامر على ما توهمه السائل وما ذكره من مشروطية السمع بالحياة صحيح والحياة تتصف الروح بها وبيان ذلك يحوج الى الكلام فى حقيقة النفس وقد أكثر الناس الكلام فيها والتصانيف وتباينت فيها أقوال الناس هل هى جسم أو عرض أو مجموعهما أو جوهر فرد متحيز أو جوهر مجرد غير متحيز ولا يمكن قول سادس وانما الكلام فى تعيين واحد من الخمسة * من الناس من توقف فيه وهو أسلم وحمل على ذلك قوله تعالى قل الروح من أمر ربى وأنه لم يأمره أن يبينه لهم ومنهم من قال انها جسم وهؤلاء تنوعوا أنواعا أمثلها قول من قال انها أجسام لطيفة مشتبكة بالاجسام الكثيفة أجرى الله العادة بالحياة مع بقائها وهو مذهب جمهور أهل السنة والى ذلك يشير قول الاشعرى والباقلانى وامام الحرمين وغيرهم ويوافقهم قول كثير من قدماء الفلاسفة ومنهم من قال انها عرض خاص ولم يعينه قاله جماعة من المتكلمين ونصره الهراسى من أصحابنا ومنهم من عينه وتنوعوا فى ذلك أنواعا ومنهم من قال انها جوهر فرد متحيز نقل ذلك سيف الدين الآمدى عن الغزالى ومعمر وغيرهما من الاسلاميين القائلين بانها بسيطة والقائلون بهذه الاقوال الثلاثة يقولون ان قوله تعالى قل الروح من أمر ربى جواب فان أمر الرب هو الشرع والكتاب الذى جاء به فمن دخل فى الشرع وتفقه فى الكتاب والسنة عرف الروح فكان معنى الكلام ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتم عنه على انه قد

قيل انهم لم يسألوا عن الروح الانساني بل عن ملك من الملائكة والاقوال في ذلك مذكورة في التفسير وقيل ليس سؤالا عن حقيقتها بل عن حدوثها وأجابهم بما يدل على حدوثها وأنها من فعل الله تعالى وكل من قال بانها جسم يجوز اتصافها بالحياة وأما القول بانها عرض فبعيد ومن الناس من قال الروح جوهر مجرد لا متحيز ولا حال في متحيز وهو مذهب حذاق الفلاسفة والذي يظهر أن هذا مذهب الغزالي أيضا وهكذا هو في (المضنون به على غير أهله الكبير) و (المضنون به على غير أهله الصغير) ولكن الآمدي نقل عنه ما ذكرت والمضنون الكبير فيه أشياء من اعتقاد الفلاسفة خارجة عن اعتقاد المسلمين ولذلك ان بعض الفضلاء كان ينكر نسبته الى الغزالي رحمه الله وهو في الاحياء في شرح عجائب القلب لم يفصح بذلك وانما قال انها لطيفة ربانية روحانية هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالم العارف من الانسان وهي المخاطب المطالب ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحير أكثر العقول في ادراك وجه علاقته وقال ان هذه اللطيفة الربانية يطلق عليها الروح والنفس والقلب والعقل وهي غير الروح الجسماني وغير النفس الشهوانية وغير القلب الصنوبري وغير العقل الذي هو العلوم فالمعاني خمسة والالفاظ أربعة كل لفظ لمعنيين هذا كلامه في الاحياء واتفق الاطباء على أن في بدن الانسان ثلاثة أرواح روح طبيعي وهو جسم لطيف معدنه الكبد ثم ينبث في سائر البدن ويحمل القوى الطبيعية وروح حيواني وهو جسم لطيف معدنه القلب وينبث في سائر البدن ويحمل قوة الحياة وروح نفساني وهو جسم لطيف معدنه الدماغ وينبث في سائر البدن وفعله الحس والحركة وهذه الارواح يشترك فيها الحيوانات ولم يتكلموا في النفس الناطقة الخاصة بالانسان التي هي غرضنا هنا اذا عرف ذلك فالفلاسفة القائلون

فى النفس الناطقة انها جوهر مجرد فانهم يقولون انه حى عالم متكلم سميع بصير قادر مريد ولكنه ممكن موجود بايجاد الله تعالى حادث بعد العدم مخلوق وقد يطلقون المخلوق على ماله كمية يدخل بسببها تحت المساحة والتقدير ويقولون عالم الخلق ما كان كذلك وعالم الامر الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والحيز وهو مالا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه والمتصوفون لهذا يجعلون قوله تعالى قل الروح من أمر ربى جوابا بانها من عالم الامر والمتكلمون من المسلمين لا يثبتون هذا الوصف الا لله تعالى ويقولون كل ممكن فهو اما متحيز واما حال فى المتحيز والفلاسفة يثبتونه وهو أشرف الممكنات عندهم لانه لا يحتاج الا الى موجده فقط وكل من المتكلمين والفلاسفة على نفيه واثباته أدلة ليست بالقوية والآية الكريمة ليس فيها دليل لهم كما عرف فى التفسير وظواهر الشريعة تقتضى أن الروح متحيزة فقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجى أيتها النفس المطمئنة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم تعرج بها الى السماء فتفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس المطمئنة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها هذا حتى تنتهى يعنى الى عليين ووردت أحاديث كثيرة بمعنى هذا والقرآن يشهد له قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية الآية وقال تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء جاء أنها الأنفس الخبيثة وقد يقول ان الاشارة بذلك الى الروح الحيوانى ولعل الروح الحيوانى

الموجود فى الانسان يبقى بعد الموت وينتقل الى عليين أو سجين والله سبحانه وتعالى أعلم *

﴿الباب العاشر فى الشفاعة﴾

ووجه ذكرها شرح متن الحديث الاول وهو قوله صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى * وختمنا بها الكتاب لتكون هى خاتمة أمرنا ان شاء الله تعالى والقول الجملى فى الشفاعات الأخروية أنها خمسة أنواع وكلها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وبعضها لا يدنو أحد اليه سواه وفى بعضها يشاركه غيره ويكون هو المتقدم صلى الله عليه وسلم فاختص صلى الله عليه وسلم بعموم الشفاعة وببعض أنواعها وأما الباقى فيصح نسبته اليه لمشاركته وتقدمه فيه فالشفاعات كلها راجعة الى شفاعته وهو صاحب الشفاعة بالاطلاق فقوله شفاعتى يصح أن يكون اشارة الى النوع المختص به والى العموم والى الجنس لنسبة ذلك كله اليه فهذه لطيفة يجب التنبه لها وأما التفصيل فقال القاضى عياض وغيره الشفاعة خمسة أقسام (أولاها) مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى الاراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب لا يدنو اليها غيره وهى الشفاعة العظمى ولم ينكرها أحد ﴿الثانية﴾ الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضا وردت لنبينا صلى الله عليه وسلم كما يتبين فى الاحاديث التى نذكرها ان شاء الله تعالى * قال ابن دقيق العيد ولا أعلم الاختصاص فيها أو عدم الاختصاص * قلت ولفظ الحديث الذى يأتى فأقول يارب أمتى أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب * وحديث دخول قوم الجنة بغير حساب رواه البخارى ومسلم من طرق عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بعضها يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب فقال